محكم

المعبودات المائية في المغرب

بين العصر القديم والزمن الراهن

سمير آيت أومغار

باحث مغربي

قسم الدراسات الدينية

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
All rights reserved
Mominoun Without Borders

ملخص الدراسة:

قدست الشعوب القديمة الماء، وربطته بمجموعة من الأساطير النشوئية، وامتد ذلك إلى الكتب السماوية التي منحت الماء دائماً مقاماً مهما في النشوء والحياة والعقاب أيضا. أما في شمال إفريقيا، فتشهد أسطورة تسليت أونزار على قداسة الماء، من خلال علاقته الحميمية بالأرض. لكنها ليست الوحيدة الدالة على تقديس الماء؛ فهناك الحوريات اللواتي تشهدن النقائش اللاتينية، والكتابات الرومانية على عبادتها بالمغرب قبل وأثناء الاحتلال الروماني، وهي مخلوقات أسطورية مؤنثة ارتبطت بالمياه العذبة والحامات، وهي مخلوقات يفترض العديد من الباحثين، سيراً على منوال المدرسة الإثنولوجية الفرنسية، استمرار تقديسها من خلال خلق شخصية شبيهة بها، وهي عيشة قنديشة المتصلة هي الأخرى بالمستنقعات والأنهار والعيون. في حين يذهب البعض الآخر إلى محاولة تأصيل الممارسات الطقوسية الراهنة، المتصلة بالماء، من خلال توظيف مقاربة أنثروبولجية مغايرة.

مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بإحدى العبادات المائية (**عبادة الحوريات**) التي سادت في دول المغرب الكبير خلال الحقبة القديمة، وتجلت مظاهرها بوضوح أثناء الاحتلال الروماني لهذه الأقطار، فأمست بذلك تقليداً دينياً رسمياً، تعمل بعض الفئات الاجتماعية على اتباعه من خلال إجراء عدة طقوس، يرى بعض الباحثين أنها لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا، لكن في سياق تاريخي وديني وثقافي، مخالف لسياق النشأة والتطور.

وكان لزاماً علينا، بعد تحديد موضوع البحث، ضبط حدوده الجيوسياسية؛ فاخترنا لأسباب مرجعية بالدرجة الأولى الشمال المغربي أو ما كان يسمى بموريتانيا الطنجية؛ وهي تسمية تطابق مجال انتشار النفوذ السياسي والعسكري الروماني الذي تركز بمنطقتين؛ هما:

- المنطقة الأولى: على طول الساحل الأطلسي (بين رأس سبارتيل ومصب نهر أبي رقراق).

- المنطقة الثانية: داخل البلاد حول وليلي، ومعنى ذلك أن موريتانيا الطنجية كانت تمتد من طنجة إلى سهل الغرب الحالي، ومنطقة السهول العليا، والمرتفعات التي توجد بها حالياً مدينتا فاس ومكناس.[1] ومع ذلك، فقد وجدنا أنفسنا مضطرين أحياناً لتوسيع رقعة البحث بغاية استكمال معلوماتنا حول الموضوع، أو بهدف المقارنة مع باقي الولايات الرومانية بالشمال الإفريقي.

أما الإطار الزمني، فيمتد من فترة ما قبل الاحتلال الروماني إلى غاية القرن الثالث الميلادي، وهو التاريخ الذي اقترحه جيروم كاركوبينو للحديث عن نهاية الاحتلال الروماني بموريتانيا الطنجية، رغم استمرار هذا الاحتلال بكل من شالة والصويرة، إلى غاية النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، حسب الشواهد الأثرية المكتشفة بهذه المواقع، مع الانفتاح على الزمن الراهن لرصد أشكال الاستمرار أو التغير على مستوى التقديس الجماعي والفردي للماء.

وكان عماد هذا البحث، مادة مصدرية متنوعة وأصيلة، تتكون بالأساس من النقائش الأبيغرافية واللوحات الفسيفسائية، والتي تؤرخ لعبادة الحوريات بالمجال، لكنها ولسوء الحظ قليلة، فلا نتوفر بموريتانيا الطنجية إلا على نقيشة واحدة حول الحوريات، تم الكشف عنها بعين شقور على بُعد أربعة كيلومترات من وليلي، وبعض

[1]- أعشي مصطفى، **موريتانيا الطنجية**، ضمن: العربي الصقلي (تحت إشراف)، مذكرات من التراث المغربي، Nord Organisation، 1984، الجزء الأول، ص ص 219-220

اللوحات الفسيفسائية المتمركزة بالأساس في موقع وليلي المشار إليه. إلى جانب دراسات إثنوغرافية وأنثربولوجية ذات منطلقات منهجية ونظرية مختلفة.

أهمية البحث:

يتميز هذا البحث بمحاولته مقاربة ظاهرة تقديس الماء في المغرب، من خلال اعتماد المقاربة التاريخية، نظراً لفوائدها في رصد وتتبع الظاهرة في الزمن الطويل، لا رغبة في البحث عن الأصول، بل لإدراك مستويات الاستمرار والانقطاع في الممارسة الدينية بالمغرب، منذ العصر القديم إلى يومنا هذا.

وتتجلى أهمية هذا البحث في تبني المقاربة التاريخية العلمية، دون السقوط في بعض المقاربات التي تعتبر كل شكل من أشكال التدين المخالفة للنص الديني الإسلامي صورة من صُور الكفر والجاهلية المتأخرة. إضافة إلى كشفه عن قِدم التقديس الجماعي للماء كمادة ذات خصائص علاجية ورمزية، قبل وأثناء الاحتلال الروماني للمغرب في حدوده المشار إليها سابقا، بل واستمرار هذا التقديس بالمدينة والريف للعيون والأنهار والآبار والمستنقعات والبحر...

جُغرافيات الماء المُقدس:

قدّس الأفارقة في الحِقب القديمة البحر والأنهار، وآمن السلافيون بانتشار الأرواح والجن حول النافورات، وقدّم سُكان أمريكا الأصليون (المايا والإنكا والسِّيُوكس...) قرابين متنوعة لآلهة المطر والبحيرات. واليوم لا زال الهندوس يقومون بطقوس الطهارة بالغانج، وهو ما يشهد على استمرارية عبادة المياه التي غالباً ما اعتُبرت مصدراً للحياة الكونية، فكانت حسب الفيلسوف الإغريقي طاليس (نهاية القرن السابع قبل الميلاد) العنصر الأول الذي منح الحياة لباقي العناصر الطبيعية، أما أرسطو (384-322 قبل الميلاد)، فصنّف الماء ضمن العناصر الأربعة الأساسية في العالم الفيزيائي.[2]

إن هذه الأمثلة، المتباعدة مجالياً وزمانياً، كافية للاستدلال على قِدم عبادة الإنسان للماء وتقديسه، باعتباره خالقاً للحياة؛ فالأرض التي انفصلت عن الماء، حسب سِفر التكوين، وجعلها خنزير الإله فيشنو Vishnou البري تطفو على سطح المياه الأولية، وختّرها (جمّدها) أبطال شينتو Shinto الأسطوريون، وهي أنثى وأم، ومنها تنشأ كل الكائنات، كما أنها العذراء التي تخترقها المعزقة أو المحراث، كان المطر (الماء)، وهو بذار السماء، ومنيُّها المُخَصِّب الوحيد لها - الأرض -.

[2]- **L'encyclopédie Grolier: Le livre des connaissances**, Grolier Limitée, Paris-Montréal,1985, volume 5, p 8

لقد حدا هذا التصور بالإنسان إلى تقديس الماء، والربط بينه وبين الأرض في مختلف الأساطير التي نسجها حول نشوء الكون وولادة العالم (الأساطير النشوئية)، كالأساطير البولينيزية، وأساطير قبائل الإيروكوا Iroquois الأمريكية، وقبائل الكرادجيري الأسترالية، والأسطورة النشوئية اليابانية، بل وجدنا الكتب السماوية، وعلى رأسها القرآن، تكرس هذه العلاقة الحميمية بين الأرض والماء، وتصادق على بعض ملامحها دون أن تكون أسطورية بمحض ذاتها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر أن القرآن يلح على وظيفة الأرض كوعاء للحياة، ومكان للإخصاب العالمي الذي يحصل بفضل الماء الذي يرسله الله عليها، ويصور مجازاً كيف أنبت الله كل شيء من الأرض، بما في ذلك الإنسان والحيوان[3]. يقول الله تعالى: **"وما أنزل الله من السماء من الماء فأحيا به الأرض بعد موتها"**[4]، و**"يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب"**[5]؛ فالماء هو عنصر الحياة في بداية الخلق ويوم البعث **"فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور"**[6]، **"والله أنبتكم من الأرض نباتا"**[7]، **"وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء"**[8]، **"فلينظر الإنسان إلى طعامه، أنا صببنا الماء صبّا، ثم شققنا الأرض شقا، فأنبتنا فيها حبّا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا، وحدائق غلبا، وفاكهة وأبّا، متاعا لكم ولأنعامكم"**[9]، **"ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه، ثم يهيج فتراه مصفرا، ثم يجعله حُطاما، إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب"**[10]...

وتقدم لنا أسطورة تسليت أونزار الأمازيغية بشمال إفريقيا، نموذجاً دالاً على هذا التقارب الواقع بين الأرض والماء لدى الأمازيغ، وعلى تقديسهم لهذا الأخير. يقول مدون نص الأسطورة بقبيلة آيت زيكي بسباو بالقبايل Genevois[11]:

---

[3]- شعبو أحمد ديب، **"السماء والأرض، رحلة في المعتقدات العالمية والخيال الأسطوري والفولكلور: بحث أنثروبولوجي تحليلي"**، مجلة الفكر العربي، السنة السابعة، العدد 44، كانون الأول 1986، ص ص 42-63-64

[4]- **سورة البقرة**، الآية 163

[5]- **سورة الحج**، الآية 5

[6]- **سورة فاطر** الآية 9

[7]- **سورة نوح** الآية 17

[8]- **سورة الأنعام** الآية 99

[9]- **سورة عبس** الآية 24-32

[10]- **سورة الزمر** الآية 21

[11]- Genevois, "**Un rite d'obtention de la pluie: la fiancée d'anzar**", in actes du 2eme congrès International d'études des cultures de la méditerranée occidentale II, Algérie 1978, P 393-401

"في قديم الزمان، كان شخص اسمه أنزار، وكان هو ملك (سيد) المطر، أراد الزواج من فتاة رائعة الجمال تتألق حُسنًا على الأرض كالقمر في السماء، وكان وجهها ساطعاً، وثوبها من الحرير المتلألئ، وكان من عادة هذه الفتاة أن تستحم في نهر فضي البريق، وكان ملك المطر كلما هبط إلى الأرض يدنو منها فتخاف، ثم يعود إلى السماء، لكنه ذات يوم قال لها:

"ها أنا أشق عنان السماء من أجلك يا نجمة بين النجوم، فامنحيني من الكنز الذي وُهِبته، وإلا حرمتك من الماء".

فردّت عليه الفتاة: "أتوسل إليك يا ملك المياه، يا مرصع الجبهة بالمرجان، إني إليك نذرت، لكني أخشى الأقاويل".

وبعد سماع هذه العبارات قام من عليها، فأدار خاتمه، فنضب النهر على الفور، وجفت آثار الماء، فأصدرت الفتاة صيحة، وتفجرت عيناها بالدموع؛ فالماء هو روحها. فخلعت ثوبها الحريري وظلت عارية، فخاطبت السماء قائلة:

"أنزار يا أنزار، يا زهر السهول، أعد للنهر جريانه، وتعالى خذ بثأرك".

في تلك اللحظة بالذات لمحت ملك المطر، وقد عاد بهيئة شرارة برق ضخم، فضم إليه الفتاة، وعاد النهر إلى سابق عهده في الجريان، فاكتست الأرض كلها اللون الأخضر."

تتشابه الأسطورة المذكورة مع النصوص الحكائية العالمية المشار إليها أعلاه، وكذا مع الكتب السماوية، في ضرورة اتصال السماء/الماء بالأرض، من أجل حدوث الخصب؛ فاتصال أنزار السماوي والفتاة الأرضية هو المسؤول، حسب الأسطورة، عن الخصوبة والاخضرار، بما يعني أن هطول المطر، إنما ينجم عن زواج كوني بين أنزار، الماء المطري، السيد الملك (وضمنيا الإله) ذي القدرة على الإخصاب، وعروسه (الأرض): تسليت أونزار؛ فالمطر "أمان أونزار" يُنظر إليه هنا على أنه سائل ينجم عن التقاء سيد المطر أو السماء مع الأرض الأم، كما يُفرِز الزوجُ السائل المنوي بعد اتصاله بالعروس.[12] وبالتالي، فطقس الاستمطار ليس إلا

[12]- أوسوس محمد، **دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، سلسلة الدراسات و الأبحاث 6، الرباط، 2007، ص ص 13-17

"إحياء للأسطورة واحتفالاً بأحداثها الأسطورية، والطقس يعيد تأكيد الأسطورة كما يرى Gusdorf، بل إن الطقس هو الأسطورة في إطار الحركة، كما يرى Van der Lew".[13]

إن هذه الشواهد تدل، بشكل لا يدعو إلى الشك، على مكانة الماء المركزية في الفكر الديني الميثولوجي بشمال إفريقيا وبالمغرب بشكل خاص. كما تشير إلى حضور عبادات ذات طقوس معينة، خاصة بالماء، لمسؤوليته عن الخصب والحياة، وهو ما ينبه إليه الكاتب الأمازيغي تيرتوليان Tertullien في كتابه المسمى"De Baptima"، حيث يقول: "إن المياه الأولى هي التي توصلت بأمر إحداث المخلوقات الحية".[14]

وقبل الخوض في وصف المعبودات المائية في المغرب القديم، لا بد أن نشير إلى استمرار بعض أشكال التقديس الخاصة بالماء في المغرب، والتي يصعب على الباحث تفسيرها دون البحث في تاريخ الفكر الديني بالمغرب؛ ففي جنوب شرق مكناس، وعلى منحدرات السفح الشمالي من غرب الأطلس المتوسط، كانت قبيلة بني مطير خلال القرن التاسع عشر، تعتقد أن بعض العيون ومجاري المياه لا تخلو من أرواح تسكنها، قد تصيب طارقها بمكروه أو أذى، ولذلك كانوا يتحاشون إغضابها والاصطدام بها. وحتى يسْلمُوا من شرورها، كانوا يحاولون إرضاءها ومصالحتها؛ ففي الحاجب مثلاً، كان الأهالي يقومون كل مساء يوم جمعة بزيارة عين الخادم، ويوقدون على جنباتها عدداً من الشموع لمصالحة ساكنيها والأخذ بخاطرهم.[15] أما في تطوان خلال نفس الفترة، فيتحدث الباحث خالد الرامي عن عملية "أسلمة الموروث الثقافي المائي الأمازيغي، من خلال الاحتفاظ بالشكل وإفراغه من محتواه الوثني ما قبل الإسلامي، وتعويضه بمدلولات ومفاهيم وقيم إسلامية جديدة". وتتجلى هذه الطقوس في زيارة سكان مدينة تطوان وأرباضها لعدد من عيون المدينة، كعين سيدي طلحة، وعين سيدي عبيس، وعين صور، وعين ملول، وعين الجمارين... بهدف الاستشفاء من الأمراض العضوية وإخصاب النساء[16]، وهي الأدوار التي سنلاحظ فيما بعد أنها التصقت ببعض الحَامَات التي كان المغاربة، خلال العصر القديم، يؤمونها من أجل الاستشفاء من أمراضهم العضوية، لإيمانهم أن الحوريات والجن تقطنها، ولا تفارقها.

---

[13]- أوسوس محمد، **المرجع نفسه**، ص 28

[14]- أعشي مصطفى، **"أمان Aman"**، ضمن **"المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته"**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، 2004، الجزء الأول، ص 41

[15]- اكنيح العربي، **آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بالقبائل في القرن التاسع عشر: نموذج قبيلة بني مطير (ايت نظير)**، مطبعة انفو برانت، فاس، 2004، ص 226

[16]- الرامي خالد، **النظام الأصيل لتوزيع الماء بمدينة تطوان 1862-1913**، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 2008، ص ص 32-33

بل نجد سكان منطقة الغرب، خلال فترة الحماية، يؤكدون أن نهر سبو وروافده، وكذا المرجات ومناطق تجمع المياه، أماكن مسكونة بالجن، وبالتالي كانوا يعتقدون أن حمى المستنقعات ليست إلا دليلاً على غضب الجن والأرواح الشريرة التي تسكن المستنقعات، ولا أدل على هذا الاعتقاد من ترديد الجملة التالية: "مضروب على الماء" عند الفقهاء كاتبي التمائم، كلما قصدهم قاصد.[17]

إنها نماذج تدل، حسب بول باسكون، على تداخل مجموعة متنافرة من الممارسات الطقوسية، وأنساق الاعتقاد السابقة على التوحيد، ودين منزّل - هو الإسلام هنا – واحترام للعلم الحديث.[18]

الحوريات وإشكالية المحلي والأجنبي:

يقول المؤرخ شارل أندري جوليان في حديثه عن سكان شمال إفريقيا خلال العصر القديم: "لم يقتصر الأفارقة على استعمال لغة أهل الغلبة، بل تبنّى الكثير منهم معتقداتهم الدينية التي كانت جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الرومانية"[19]، لكننا لا يجب أن نتغاضى مع ذلك عن حقيقة وجود ديانة محلية، كانت قائمة قبل الاحتلال الروماني للمغرب، واستمرت أثناءه، وربما لا زالت بعض شظاياها عالقة بالذهنيات المغربية إلى يومنا هذا. "فالديانة الرومانية لم تتغلغل في نفوس الجماهير الأهلية، ولم تحل السيطرة الرومانية دون انتشار العبادات الليبية والبونيقية، بل يذهب بعضهم إلى القول بأنها أعانتها على الانتشار، وتشهد آلاف النذور المرسومة على الخزف والنقوش والنقود المكتشفة، بأن القوم بقوا يعبدون تحت اسم سترْنُس أغسطس Saturnus Augustus بعل حمون Baal Hammon في صورة شيخ جالس على عرش، يمسك بيده اليمنى مِنجلا، كما تشهد بأن تانيت إلهة قرطاج البونيقية وحاميتها، لم تزل تعبد تحت اسم كيلستيس Caelestis، وربما اتخذت هيئة مخالفة كإلهة أم ترضع ولدا".[20] فما هي حقيقة هذه الديانة المحلية؟ وما موقع الماء داخلها؟ وهل كان للحوريات وجود في هذه الديانة؟

نتوفر على العديد من الشواهد المادية (الفسيفساء والنقائش التماثيل...) والمكتوبة (النصوص اللاتينية والإغريقية)، الدالة على انتشار العبادات المائية في أوساط المغاربة خلال العصر القديم، لكننا لا نتوفر على أي شاهد مادي قبل الفترة الرومانية؛ "فوجود العبادات المائية خلال العصر الروماني يبدو واضحاً من خلال

[17]- رويان بوجمعة، **"نموذج عن الأحوال الصحية في البادية المغربية خلال فترة الحماية: حمى المستنقعات في منطقة الغرب"**، ضمن البادية المغربية عبر التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 77، 1999، ص ص 199-200

[18]- باسكون بول، **"الأساطير والمعتقدات بالمغرب"**، مجلة بيت الحكمة، السنة الأولى، العدد الثالث، أكتوبر 1986 (الطبعة الثالثة)، ص 83

[19]- جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1969، الجزء الأول، ص 253

[20]- جوليان شارل أندري، **المرجع السابق**، الجزء الأول، ص 254

مظاهر متعددة، تشهد بتطور كبير لأشكال متنوعة من الطقوس المائية الليبية، بدءًا ببعض الآلهة الليبية التي يبدو أنها اكتسبت شخصيتها أو على الأقل أصولها من خلال انتمائها للطقوس المائية، مثل ليليو Lilleo، وماكورتام Macurtam، وماكورغوم Macurgum، وجن المياه أو حتى الآبار المقدسة، إضافة إلى هذا يجب أن نصنف ضمن هذا الملف أيضاً، الآلهة الرومانية التي يشهد توطين طقوسها على علاقتها بالماء، كنبتون Neptune والحوريات Nymphes وسكولاب..."[21]

نتيجة لذلك، تظل معرفتنا بالآلهة المحلية الليبية سيئة جدّاً، على حد تعبير الباحث ستيفان كزيل؛ فهي عادة ليس لها صور، وعُبّادها كانوا غير قادرين، أو إنهم لم يكونوا يريدون أن يتركوا حججاً مكتوبة على عبادتهم لها. أما اللاتينيون، فجلهم إنما عرف أن الأهالي كانوا يعبدون آلهة تختلف عن آلهتهم، وبطقوس خاصة[22]. على أن بعض الرومانيين الذين مروا بإفريقيا أو سكنوها، رأوا من الأفضل عدم إهمال الآلهة التي تزاول بها سلطتها، فتركوا لنا بعض الإهداءات اللاتينية تمجيداً لها... وأحياناً تتجه عبادتهم إلى جميع آلهة البلاد، أو يكون التعبير عن هذه العبادة بصيغة مُبهمة، حيث تتجه إلى الآلهة المورية Dii Mauri، Maurici، أو إلى أحد آلهة الموريين Numen Maurorum، وإلى آلهة الجيتوليين Dii Gaetulorum، وإلى إلهة مورية Dea Maura، وربما أيضا إلى آلهة إفريقيا Matres Afrae، وآلهة ليبيا Matronae Libycae.

وقد عثر في بعض منابع المياه، وببعض الجبال كذلك، على إهداءات باللغة اللاتينية مهداة إلى جن Genii هذه الأمكنة. ليس من المؤكد أنها كانت آلهة إفريقية، لأن الرومانيين في ذلك العهد، كان كل مكان بالنسبة إليهم مستقرا للجن، ولكن من المحتمل أن هذا الجن غالبا ما اختلط بجن محلي.[23]

لقد أدت مزاحمة الآلهة الرومانية للمعبودات المحلية بالمغرب القديم إلى إخلاء هذه الأخيرة المكان لها: فاستولى ساتورنوس Saturnus على القمم، ونبتونوس Neptunus على منابع المياه، وسلفانوس Silvanus على الغابات، وبلوتو Pluto على المغارات...[24] لكن العقلية الدينية لدى شعوب الشمال الإفريقي، والمغربية

---

[21]- سراج أحمد، **"حول استمرار أحد مظاهر الديانات المائية القديمة بمغرب العصر الوسيط"**، ضمن **الماء في تاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني-عين الشق، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، 1999، ص 158

[22]- Pomponius Mèla, I,41: " **Orae sic habitantur ad nostrum maxime ritum moratis cultoribus, nisi quod quidam linguis differunt et cultu deum quos patrios servant ac patrio more venerantur**".

نقلاً عن:

Gsell Stéphane, **Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord**, Librairie Hachette, Paris, deuxième edition 1929, Tome 6, P 135

[23]- Gsell Stéphane, **Op.Cit.** , Tome 6, P 135-136

[24]- Gsell Stéphane, **Op.Cit.**, Tome 6, p 140

بشكل خاص، كانت تميل إلى المحافظة في نفس الوقت الذي تبدو فيه قابلة للتجديد، بل وساعية إليه، وهو ما جعلها قادرة على احتواء الديانات الجديدة التي جاء بها المستوطنون القادمون من مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط.[25]

نستنتج مما سبق - رغم نُدرة الشواهد التاريخية - أن تقديس المياه والعيون، واتخاذ معبودات لها، لم يكن ظاهرة طارئة على المغرب القديم بُعيْد الاحتلال الروماني، بل كانت له جذور تاريخية استمرت في الامتداد، رغم الضغط الحضاري الروماني على الفكر والثقافة المحلية، لكننا ولسوء الحظ لا نتوفر على أية بيانات علمية حول المعبودات المائية في المغرب القديم، وبشكل خاص الحوريات قبل الاحتلال الروماني؛ فالنقائش اللاتينية، والفسيفساء، جاءت لتخلد المعبودات الرومانية، لا لتمجيد المعبودات المحلية، وهو ما أسهم في ضياع ذاكرة دينية غنية، استمرت بعض ملامحها بفعل المقاومة في الحضور، لكن تحت قناع الدين الروماني والمسيحي والإسلامي.

الحوريات والإرث الروماني:

لازال البحث التاريخي بأقلام مغربية حول الحوريات في المغرب القديم ضعيفاً ومحدوداً؛ فلائحة الدراسات المنجزة حول الموضوع قصيرة، وصادرة في أغلبها عن الأستاذ عبد العزيز بالفايدة، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، وعضو مكتب الجمعية المغربية للبحث التاريخي، وذلك بحكم تخصصه في الموضوع، من خلال إنجاز أطروحة جامعية قدمها لنيل شهادة دكتوراه السلك الثالث بجامعة بوردو 3، تحت عنوان: **Le culte des divinités des eaux en afrique romaine**، إضافة إلى تقديمه مجموعة من المقالات العلمية المنشورات بالدوريات العلمية.[26]

---

[25]- سراج أحمد، **المرجع السابق**، ص 158

[26]- من بين **المقالات** التي نشرها **ذ.عبد العزيز بالفايدة** حول المعبودات المائية بالمغرب القديم (إلى حدود 2004):

- A. Belfaida, **Le culte des génies topique en Afrique Romaine. Témoignages épigraphiques**, dans Africa Romana, Atti del XII convegno di studio, Oblia, 1996, P 1533-1554

- A. Belfaida, **Eau et évergétisme en Afrique romaine. Témoignages épigraphiques**, dans Africa Romana. Atti del XIII convegno di studio, Djerba, 1998, P 1589-1601

- A. Belfaida, **Eau et sacré en Afrique Romaine**, Africa Romana. Atti del XIV convegno di studio, sassari, 2000, P 1709-1721

- عبد العزيز بالفايدة، عبادة الربات في المغرب القديم على ضوء الأبيغرافيا، مجلة أمل، عدد 13-14، 1998، ص ص 55-64

- عبد العزيز بالفايدة، **الماء بين المقدس والمنفعة العامة**، ضمن أعمال ندوة الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني عين الشق، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 11، 1999، ص ص 33-46

تقدم لنا هذه الدراسات نظرة تاريخية وتقنية حول حضور الحوريات، ضمن الطقوس الدينية اليومية للإنسان في المغرب القديم، خاصة خلال فترة الاحتلال الروماني؛ فما المقصود بالحوريات؟ وأين انتشرت عبادتها؟ وما هي وظائفها؟

يقصد بالحوريات مخلوقات أسطورية مؤنثة، ارتبطت في الفكر الديني الروماني بالمياه العذبة والحَامَات، كما ارتبطن بالغابات والجبال. وتُجسِّد هذه المخلوقات القوى المنتجة للأرض، ويبدو أنه قد تم تصويرهن بشكل دائم على هيئة بشرية. ويعني اسمهن Nymphes باللغة اللاتينية: الفتاة الشابة أو العروس. وكانت تقدَّم هذه الحوريات في أغلب الولايات الرومانية كحاميات، وحارسات لمنابع المياه المعدنية والاستشفائية.[27]

وانطلاقاً من الشهادات الأبيغرافية، يبدو أن النقائش المتعلقة بها قليلة في شمال إفريقيا؛ فهي لا تتعدى 15 نقيشة إلى حد الآن، وذلك بسبب انتشار عبادة الإله "نبتون" إله المياه العذبة والمالحة[28]. وقد عثر على أغلب هذه النقائش المكرسة للحوريات بداخل البلاد، لا على السواحل، كما هو الشأن في حامة بنوميديا Aquae Flaviana، الشيء الذي يدل على أن الحوريات اختصت بحماية المياه العذبة، لا المالحة (عكس عرائس البحر Les Nereides، وربات الأمواج Les Tritonnesses)[29]، كما أثبتت ذلك الهدايا المقدمة لها، وهي عبارة عن قنوات ومعالم مائية Nymphées، هذا فضلاً عن كون عدد من الأعلام الجغرافية التي عثر بها على الهدايا، ما زالت تحمل حتى الآن اسم عين، مثل "عين موسى" قرب سطيف، و"عين شقور" قرب وليلي.[30]

وقد لاحظ الباحثون أن اسم الحوريات في النقائش المذكورة ظل مرتبطاً بصفات أجنبية، فلم يتم العثور، إلى حد الساعة، بكل الشمال الإفريقي على نقيشة واحدة تضفي على الحوريات نعتاً أو صفة محلية. أما الصفات الواردة في النقائش، فهي على سبيل المثال: Sanctissimae (المقدسة)، Flavianae (الفلافية)، Septimianae (السبتيمية)، Augustis (الأغسطية)... وهي نعوت تدل على أن تقديس وعبادة الحوريات كان من فِعل أشخاص يُمثلون روما ومؤسساتها، أكثر من ارتباطها بأشخاص عاديين من عامة المجتمع

- عبد العزيز بالفايدة، **الحوريات**، ضمن معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1421-2000، الجزء 11، ص ص 3629-3630

نقلا عن: عبد العزيز بالفايدة وسعيد البوزيدي، تاريخ المغرب القديم بأقلام مغربية: حصيلة وآفاق، مجلة البحث التاريخي، العدد 2، 2004، ص ص 94-102

[27]- A.Belfaida, **L'eau au Maghreb Antique entre le sacré et le profane**, Rabat net Maroc, Rabat, 2011, P 40

[28]- بالفايدة عبد العزيز، عبادة الربات في المغرب القديم على ضوء الأبيغرافيا، مجلة أمل، العدد 13-14، السنة الخامسة، 1998، ص 57

[29]- بلكامل البيضاوية، المرأة من خلال فسيفساء شمال إفريقيا: أصنافها، أدوارها ووظائفها، مجلة أمل، العدد 13-14، السنة الخامسة، 1998، ص 12

[30]- بالفايدة عبد العزيز، **الحوريات**، ضمن معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1421-2000، الجزء 11، ص 3629

آنذاك.[31] لكن هذا لا يعني أن الحوريات لم تكن وريثة القوى الليبية المشرفة على المياه في هذه المنطقة، حيث الماء له قداسته.[32]

استمرت الحوريات مقدسة من طرف الأهالي تحت اسم Nymphae أو جن النافورات Genius Fontis، لكن بمجرد تحول المغرب والشمال الإفريقي قاطبة إلى الدين المسيحي بعد نهاية عهد الاضطهاد، أمسى ذلك الاسم الذي كانت تتضمنه النقائش والإهداءات مجرد مصطلح لا يحمل إلا قيمة أدبية؛ أي مجرد أسلوب شعري لنعت المياه والحديث عنها.[33]

لقد نشأ طقس عبادة الحوريات حول منابع المياه المعدنية، كما هو الحال في حامة فلافيانا Aquae Flaviana بنوميديا، حيث تم اكتشاف عدد كبير من النقائش الدالة على أن المحطة المائية المذكورة كانت تمتلك قدرات علاجية، وكان المتعبدون يهدفون من وراء الطقس المؤدَّى لصالح الحوريات والمياه، إلى التحرر من أمراضهم العضوية بفضل استعمال الماء. فمن بين النقائش المكتشفة بالموقع المشار إليه أعلاه، هناك نقيشة مكرّسة للتنين والحوريات تدعم الأفكار السابقة، خاصة عندما نعلم أن التنين (الأفعى) تم تقديسه بإفريقيا كجني حام للحامات، التي يضفي عليها الخصائص الاستشفائية. أما باقي الوثائق الأبيغرافية، فتم اكتشافها بالبروقنصلية، وتم اكتشاف واحدة فقط بموريتانيا الطنجية (المغرب الروماني)، بمعسكر عين شقور قرب وليلي[34]، وهي عبارة عن إهداء موجه إلى الحوريات وجن المكان Nymphae et Genius Locornuns، من طرف الحاكم Vallius Maximianus على عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس أنطونينوس (تاريخ النقيشة هو ما بين 176 و180 م).[35]

هذا ويغيب الإله نبتون Neptune بدوره بشكل شبه تام في موريتانيا الطنجية، فلا نتوفر إلا على نقيشة واحدة تخصه بهذا الإقليم، وقد وقع اكتشافها مؤخرا بموقع مدينة تاموسيدا.

وكان التقرب إلى الحوريات يتم - من خلال النقائش المتوفرة - عبر تقديم عطايا وقرابين متنوعة لها، على رأسها مذبح ومعبد ونافورة وقناة مائية ومعالم مائية Nymphées...وهي عطايا تؤكد العلاقة الوطيدة بين هذه المخلوقات، وبين المياه العذبة.

---

[31]- A.Belfaida, **Op. Cit**., P 40-41

[32]- بالفايدة عبد العزيز، **الحوريات**، مرجع سابق، ص 3629

[33]- **Ibid**, P 41

[34]- **Ibid**, P 42

[35]- بالفايدة عبد العزيز، **عبادة الربات في المغرب القديم على ضوء الأبيغرافيا**، مرجع سابق، ص ص 57-63

وكانت هذه العطايا مقدمة من طرف أشخاص يمثلون الإدارة الإمبراطورية، أو أفارقة مُتروْمِنين (فئة المثقفين والحُكام)؛ فأحد السِّنْتوريُونات (السِّنتوريون هو قائد وحدة عسكرية مؤلفة من مئة جندي) من الفيلق الأغسطي الثالث، أنشأ معبداً للحوريات بعد تجلّيهن له، وقام ضابط قديم، لم يتم تحديد اسمه بوضوح، بعدِّ النِّعم بطريقة ساخرة، فهنأ نفسه على حياته المهنية العسكرية التي كانت كما أراد لها أن تكون، وعلى شَغله لمنصب القضاء، وهنأ نفسه كذلك على رؤيته للحوريات وهن عاريات، وهو ما أدخل السعادة على قلبه. كما وجّه حاملو العلم الروماني بالفيلق الأغسطي الثالث إهداء إلى جوبيتير Jupiter والحوريات، بهدف حماية الإمبراطور وضمان سلامته.[36]

لقد كانت الوضعية مماثلة بالمغرب خلال الفترة القديمة، رغم عدم توفرنا على قدر مهم من النقائش اللاتينية لإثبات اختصاص الخاصة بعبادة الحوريات، وتقديم القرابين لها، لكن الشواهد بالولايات الرومانية المجاورة (نوميديا والبروقنصلية)، والتي كانت خاضعة لنفس النسف الفكري والديني تدل على صحة هذا الإسقاط.

لم يغفل سكان المغرب خلال فترة الاحتلال الروماني عن تمثيل الحوريات فوق الفسيفساء؛ فالحوريات التي ترمز للقوى الطبيعية المشرفة على المياه العذبة (الخصوبة)، وتوفر الحماية من القوى الشريرة، وجدت طريقها إلى الفن التصويري، إذ وُضِعت أشكالها الفسيفسائية بالمنازل وقاعات الاستحمام بشكل خاص.[37] ومن هذه النماذج الفسيفسائية، نذكر فسيفساء المعبودة ديانة Diane، إلهة القنص والصيد، وتظهر من خلال نموذجين في وليلي، تستحم بمعية وصيفاتها، حوريات الماء.[38]

إلى جانب ما سبق ذكره حول الحوريات، تنبه الباحثون إلى علاقة هذه الكائنات الميثولوجية بشعائر الزواج؛ فقد لاحظ الباحثان J.P.Darmon وR.Genouvés أن الحوريات تدخلن في علاقات مع العرائس الجدد، من خلال بعض طقوس الزواج الرئيسة، والتي تتمثل في اغتراف الفتاة للماء من العين لاستخدامه في طهارتها الطقوسية (الاستحمام)، وأثناء زيارتها للعين تدخل العروس الشابة شخصيا في اتصال مع الحوريات اللاتي يقمن بحماية الزيجات بامتياز.[39]

---

[36]- A.Belfaida, **Ibid**, P 43-44

[37]- بل الفايدة عبد العزيز، **الحوريات**، مرجع سابق، ص 3629

[38]- بلكامل البيضاوية، من أشكال تبليط الأرضيات بموريتانيا الطنجية: الفسيفساء، مجلة المناهل، السنة 27، عدد 73-74، فبراير 2005. ص 52

[39]- A.Belfaida, **Ibid**, P 49

وربما كانت هذه الاستحمامات المقدسة في العيون المحمية من طرف الحوريات، هي التي هاجمها القديس أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي، باعتبارها من بقايا الوثنية، وهو ما يدل في نفس الوقت على قِدم هذا الطقس، وارتباطه بالماء ودوره في الإخصاب، والحماية من الأمراض والأضرار والأرواح الشريرة.[40]

تقديس الحوريات والزمن الراهن:

أثناء مراجعتنا لمختلف الكتابات التاريخية حول الحوريات في المغرب القديم، صَادفنا لدى الباحثين ربطاً دائماً ومتواصلاً بين المعتقدات القديمة والراهنة، فكانوا يقدمون الحُجج والأدلة على تشابه المعتقدات وانحدارها من نفس الأصل الميثولوجي؛ فالباحث عبد العزيز بالفايدة، يقول: "**أن عبادة الحوريات وُجدت بدون شك قبل مجيء الرومان، واستمرت خلال الوجود الروماني، وحتى بعده، ولكن تحت أشكال مختلفة**"[41]، ويضيف في موقع آخر إن "**عبادة المياه، خاصة ماء العيون المُعتبرة كمصدر للشفاء، تمثل استمرارية مُثيرة، حسب Eliade Mercea. فلم تتمكن أي ثورة دينية من القضاء عليها، لأنها تتغذى بالإخلاص الشعبي لها... ومع مجيء الإسلام، نلاحظ حلول الولي الصالح محل المعبودات القديمة أو الجن، كما أن المعتقدات الشعبية ظلت تتعايش جنبا إلى جنب مع التطبيق الأرثوذوكسي للتعاليم الإسلامية...**".[42]

ويسترسل الباحث بالفايدة في عرض نماذج متعددة من المغرب، تشهد على تلك الاستمرارية؛ "**فبالأطلس المتوسط جنوب جبل العياشي، توجد بقرية تيفكرا Tifkra عين ماء يحج إليها الناس للتطهر، بهدف الزواج أو الإنجاب، أو من أجل صد الأرواح الشريرة... وتوجد المنابع المائية بوفرة في الأطلس الكبير، ومن أشهرها بجهة كدميوة عين إمي نتليت، حيث يتم بمناسبة عيد الماء ذبح تيس أسود، والتوجه إلى جن العين بالدعاء حتى تكون السنة سنة خصوبة وعطاء...طقوس كهذه لا زالت حاضرة بالمغرب في مواقع متعددة، كسيدي سليمان مول الكيفان وسيدي عبد الرحمان (الدار البيضاء)، وسيدي موسى (سلا)، وللاعيشة البحرية قرب أزمور، وسيدي اليابوري (الرباط)... وبجهة القصر الكبير، تتجه الفتيات للاستحمام بعين ماء بهدف التوصل إلى الزواج. ونعلم كذلك أنه قبل ليلة العُرس، تتم دعوة النساء والفتيات من الأقارب للاستحمام رفقة العروس؛ فالماء يحمي العروس الشابة من التأثيرات السيئة**".[43]

---

[40]- أعشي مصطفى، **الماء في القديم**، ضمن معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1425-2004. الجزء 20، ص 6925

[41]- بالفايدة عبد العزيز، **الحوريات**، مرجع سابق، ص 3630

[42]- A.Belfaida, **Ibid**, P 93-94

[43]- A.Belfaida, **Ibid**, P 94-95-96-97-98

وقد تنبه الباحث ستيفان كزيل بدوره إلى هذه العلامات المُشتركة بين المعتقدات المائية الحالية، وبين المعتقدات القديمة، فقال: **"لازال الكثير من البربر حتى اليوم يتعاطون ممارسات ذات أصل سحري، هي عبارة عن طقوس آلية. وهم يقلدونها أو يثيرونها لتعطي النتائج المرجوة... أما رجوع أكثرها إلى عهد بالغ في القدم؛ فذلك ما لا شك فيه. وعلاقة القرابة التي تربطها بالتي نجدها في بلدان كثيرة مختلفة، تشهد بوجود أصل مشترك بالغ في القدم".**[44]

وتشير الباحثة "البيضاوية بلكامل" كذلك إلى صلة قصة **عيشة قنديشة** بقصص آلهة أخرى، مثل بان **Pan** إله المراعي، وحوريات الماء **Les Nymphes** ربات الينابيع والجداول.[45]

نجد نفس الصلة بين عيشة قنديشة وبين المعبودات القديمة، من خلال وصف تركه لنا الباحث إميل لاوُوست حول الفلكلور المغربي، استند فيه على بعض نتائج أعمال الباحث الفنلندي فيستر مارك، يقول فيه: **"يتميز بعض الجن عن الكتلة المجهولة، المتعذر إحصاؤها بأسماء فردية؛ فأحد الجن يحمل اسم Qao، يقطن مغارة بآيت إيسافن، حيث ينبع الماء من عين تشفي المرضى. لكن الأكثر شهرة هم هارون وهارونة، وهما اسمان يهوديان، ويمثلان نوعا من الوحوش المائية التي تعيش بِسبو، ولازالوا معروفين إلى اليوم تحت اسم حمو قايو Hammou Qayyo، وعيشة قنديشة Aicha Qandicha. وتتم الإشارة إليهم بهذه الأسماء في فاس، وعند مصب نهر أبي رقراق. ويستنكف الناس عن ذكر أسمائهم عند عبورهم للنهر، ولا يتم قتل الأفاعي المرصودة على ضفاف الماء. وتخرج هارونة أحيانا من النهر في هيئة امرأة تمشط شعرها، ولا يتهيّب الناس إلا ضرباتها. حسب فيستر مارك Westermarck، فإن اسمها الآخر "قنديشة" ذو أصل شرقي؛ فالأمر يتعلق هنا بكديشة Kedecha، التي كانت تسهر على تعيين المُومِسات بالمعابد في الطقوس الكنعانية. "نتوفر على أسباب قوية للاعتقاد أن الطائشة والعابثة عيشة قنديشة، هي إلهة الحب القديمة: عشتار الكبرى، والتي سقطت إلى مرتبة جنية مورية"**[46]، واعتماداً على نفس الدراسات الإثنولوجية، يصف بول باسكون عيشة قنديشة كالتالي: **"في الأماكن الرطبة تسكن كبيرة الجنيات، عيشة قنديشة، وهي واحدة من الجن النادرين بالمغرب الذين أضفي عليهم اسم علم وشخصية محددة، حتى وإن كانت مزدوجة. إنها،**

---

[44]- Gsell Stéphane, **Op.Cit.**, Tome 6, p 119-122

[45]- بلكامل البيضاوية، **المرأة من خلال فسيفساء شمال إفريقيا: أصنافها، أدوارها ووظائفها**، مرجع سابق، الهامش رقم 13، ص 17

[46]- Laoust Emile, **Le Folk-lore Marocain**, dans Guernier Eugène (sous la direction), **l'Encyclopédie Colonial et Maritime: Le Maroc**, Paris, 1940, P 449

ويصرح لاووست في نهاية مقاله حول الفولكلور المغربي، أنه قد استند على أعمال الفنلندي إدوارد فيستر مارك عالم الاجتماع بجامعة لندن، خاصة منها:

"Paris, 1935 E.Westermarck, **Survivances Païennes dans la civilisation mahométane**, traduction. R.Godet. Payot, **البقايا الوثنية في الحضارة المحمدية** " =

بالنسبة لبعض الناس، شابة حامية تغوي عشاقها وتسحرهم، ثم تلتهمهم مثلما تصنع فويفر Vouivre الشامبانية أو مرغانا البْرُوتُونية، كما أنها، بالنسبة للبعض الآخر، ساحرة شمطاء حسودة تلتذ بالفصل بين الأزواج.

ويبدو أن عيشة هذه هي عشتار ملكة الحب القديمة، التي كانت معبودة على امتداد البحر الأبيض المتوسط، من قبل الكنعانيين والفينيقيين والقرطاجيين، كما كانت تغذي عبادة الدعارة المقدسة."[47]

وعن هذه البقايا الوثنية في المغرب، يقول الباحث الجزائري مالك شبل: "**تتعهد المجتمعات المغاربية، على هامش التصورات الإسلامية المُهيمنة، شبكة بكاملها من المعتقدات الوثنية... تقر هذه المعتقدات بوجود جماعة لا مرئية من الجن لها قدرات فوق بشرية، ومن أجل تحييدها يلزم كسب ثقة هذه الكائنات "الشبيهة بالإنسان في شكلها"، وتوقير الأماكن التي يعتقد أنها تقيم بها، مثل السراديب المُظلمة، والأمكنة المعتمة، ومجاري الأنهار، والمياه الآسنة الراكدة...إلخ، وبالضبط في أوقات محددة من اليوم، كالفجر والزوال والغروب..."**.[48]

هل يمكن من خلال ما سبق، المُقابلة بين "**عيشة قنديشة**" الراهنة، وبين "**الحوريات**" المعبودة في المغرب خلال العصر القديم؟

لا يجب أن نتسرع ونطلق الأحكام، ونحسم بهذه السرعة في طبيعة العلاقة بين عيشة قنديشة وبعض المعبودات القديمة، كما حاول البعض انطلاقاً من نتائج الأبحاث السوسيولوجية والإثنوغرافية، المنجزة من طرف إميل لاووست وإدوارد فيستر مارك...؛ فالنظر إلى الماضي، لا الماضي الإسلامي للشعب المغربي الذي نَصِفُ عاداته ومعتقداته للبحث عن أصولها، بل فيما وراء ذلك، الماضي الروماني والمسيحي، وقبل هاتين الحقبتين، ماض أمازيغي أوغل في الزمن، يجعل من التاريخ الإسلامي للمغرب مجرد فصل مجعول بين قوسين. والسبب في ذلك هو ارتباط المدرسة الإثنولوجية الفرنسية بالخصوص، بالمصالح والظرفية السياسية، وبسياسة علمية تبحث قبل كل شيء عن ديانة للأمازيغ، قد اغتنت بإسهامات رومانية ومسيحية تجعل ثقافتهم قريبة من القيم الغربية. وفيما وراء الإثنولوجيا، يقوم مثل هذا الموقف، بالقدر نفسه، بتشكيل الممارسة في فروع المعرفة التاريخية، ويفضي إلى النظرية القائلة بتطور قد انحرف عن مجراه بالأسلمة والتعريب. وبالتالي، **فالرهان بالنسبة لهؤلاء الباحثين، هو اكتشاف ديانة أمازيغية قريبة من الديانات المتوسطية**

---

[47]- باسكون بول، **مرجع سابق**، ص 88

[48]- شبل مالك، **الجنس والحريم روح السراري: السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير**، ترجمة عبد الله زارو، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، ص 87

القديمة؛ فكل دلالة إسلامية، تاريخية أو لا تزال حية، وكل وظيفة مرتبطة بالحياة الراهنة للمجتمعات الإفريقية الشمالية تجد نفسها حتما مُغَيَبَة، على حد تعبير الأنثروبولوجي المغربي عبد الله حمودي.[49]

"حمام ديانا رفقة الحوريات. منزل فينوس بوليلي"

ألهمت هذه الأسطورة عدداً كبيراً من الكتاب الإغريق واللاتينيين خلال الفترة الرومانية، إضافة إلى مجموعة من الفنانين، وقدم لنا الفن الإفريقي بدوره العديد من اللوحات الفسيفسائية التي يصعب تحديد معدل طقوسيتها ورمزيتها. وتقدم لنا هذه اللوحة بموقع وليلي صورة للحوريات، وهي تستحم رفقة ديانا بإحدى المنابع المائية، بينما يسترق أكتيون Actéon النظر إليهن، وهو ما أثار غضبهن فحلت به لعنتهن، ليتحول إلى أيل؛ فالنظر إلى الحوريات وهن عاريات يجر على الشخص النقمة، فيمسه الجنون، ويتم تدمير شخصيته.

Source: A.Belfaida, **L'eau au Maghreb Antique entre le sacré et le profane**, Rabat net Maroc, Rabat, 2011, P 79-80

[49]- حمودي عبد الله، **الضحية وأقنعتها: بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب**، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2010، ص ص 37-38-39-41-42

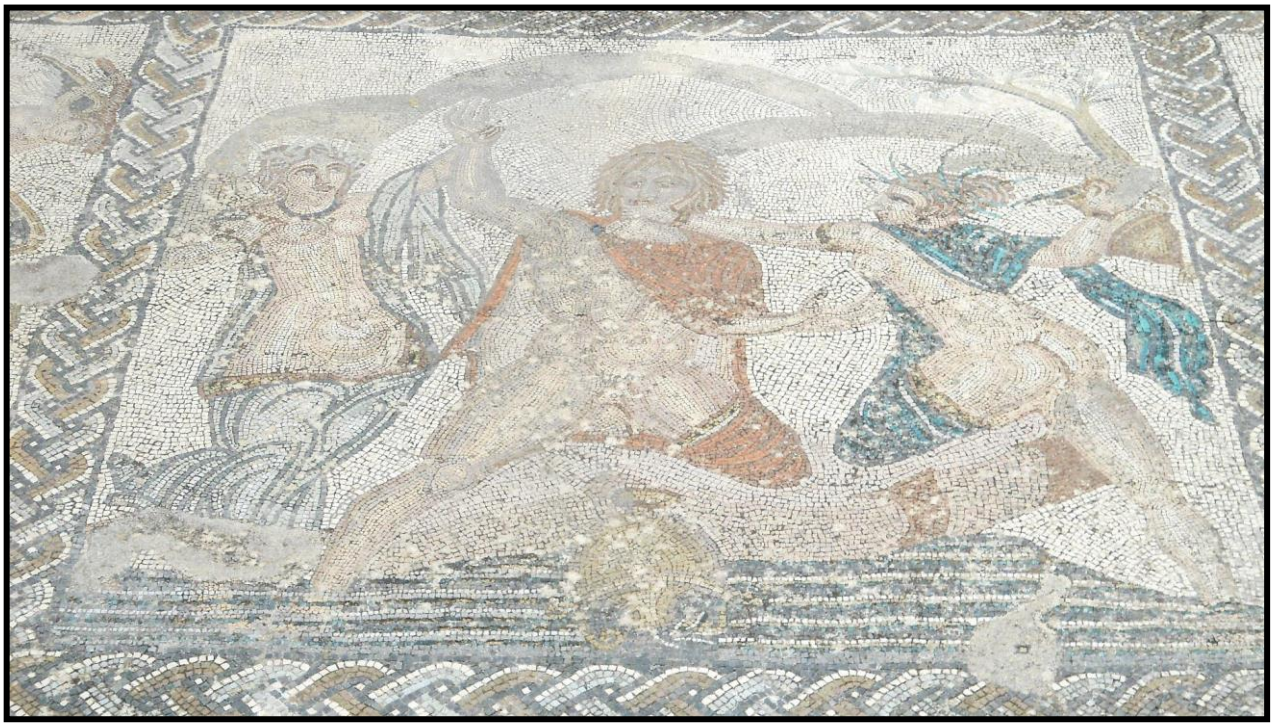

اختطاف هيلاس Hylas من طرف الحوريات. فسيفساء بأحد منازل وليلي.

ألهمت هذه الأسطورة بدورها العديد من المؤلفين الإغريق، خاصة أبولونيوس الرودسي وتيوقريط؛ فأثناء توقف هيلاس وهرقل للتزود بالماء من إحدى المنابع المائية، لإحضاره بعد ذلك إلى الأرْكُونُوت البحارة، الذين خرجوا من بلاد الإغريق بحثا عن الجزة الذهبية، قامت الحوريات باختطاف هيلاس بعدما سحرَهُن جماله، فانطلق هرقل باحثا عن رفيقه، لكن دون جدوى. وتوضح هذه القصة، وكذا قصة أكتيون، مدى خطورة الاقتراب من المنابع المائية، والحمامات لكونها مقر الحوريات التي يمكن أن تسبب المتاعب لكل من أزعج راحتها.

Source: A.Belfaida, **L'eau au Maghreb Antique entre le sacré et le profane**, Rabat net Maroc, Rabat, 2011, P 82-83

المراجع المعتمدة:

1- أعشي مصطفى، **الماء في القديم**، ضمن معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1425-2004، الجزء 20، ص 6925-6926

2- أعشي مصطفى، "**أمان Aman**"، ضمن "**المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته**"، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، 2004، الجزء الأول، ص ص 40-45

3- اكنينح العربي، **آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بالقبائل في القرن التاسع عشر: نموذج قبيلة بني مطير (ايت نظير)**، مطبعة انفو برانت، فاس، 2004

4- أوسوس محمد، **دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، سلسلة الدراسات والأبحاث 6، الرباط، 2007

5- باسكون بول، "الأساطير والمعتقدات بالمغرب"، مجلة بيت الحكمة، السنة الأولى، العدد الثالث، أكتوبر 1986 (الطبعة الثالثة)، ص ص 83-103

6- بالفايدة عبد العزيز، عبادة الربات في المغرب القديم على ضوء الأبيغرافيا، مجلة أمل، العدد 13-14، السنة الخامسة، 1998، ص ص 55-64

7- بالفايدة عبد العزيز، **الحوريات**، ضمن معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1421-2000، الجزء 11، ص ص 3629- 3630

8- بلكامل البيضاوية، المرأة من خلال فسيفساء شمال إفريقيا: أصنافها، أدوارها ووظائفها، مجلة أمل، العدد 13-14، السنة الخامسة، 1998، ص ص 8-18

9- بلكامل البيضاوية، من أشكال تبليط الأرضيات بموريتانيا الطنجية: الفسيفساء، مجلة المناهل، السنة 27، عدد 73-74، فبراير 2005، ص ص 43-64

10- جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1969، الجزء الأول.

11- حمودي عبد الله، **الضحية وأقنعتها: بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب**، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2010

12- الرامي خالد، **النظام الأصيل لتوزيع الماء بمدينة تطوان 1862-1913**، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 2008

13- رويان بوجمعة، **"نموذج عن الأحوال الصحية في البادية المغربية، خلال فترة الحماية: حمى المستنقعات في منطقة الغرب"**، ضمن البادية المغربية عبر التاريخ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 77، 1999، ص ص 197-217

14- سراج أحمد، **"حول استمرار أحد مظاهر الديانات المائية القديمة بمغرب العصر الوسيط"**، ضمن **الماء في تاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني-عين الشق، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، 1999، ص ص 157-165

15- شبل مالك، **الجنس والحريم روح السراري: السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير**، ترجمة عبد الله زارو، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010

16- شعبو أحمد ديب،"السماء والأرض، رحلة في المعتقدات العالمية والخيال الأسطوري والفولكلور: بحث أنثروبولوجي تحليلي"، مجلة الفكر العربي، السنة السابعة، العدد 44، كانون الأول 1986، ص ص 42-77

17- Belfaida Abdelaziz, **L'eau au Maghreb Antique entre le sacré et le profane**, Rabat net Maroc, Rabat, 2011

18- **L'Encyclopédie Grolier: Le livre des connaissances**, Grolier Limitée, Paris-Montréal, 1985.Volume 5

19- Gsell Stéphane, **Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord**, Librairie Hachette, Paris, deuxième edition 1929, Tome 6

20- Laoust Emile, **Le Folk-lore Marocain**, dans Guernier Eugène (sous la direction), **l'Encyclopédie Colonial et Maritime: Le Maroc**, Paris, 1940, P 447-456

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية
ص.ب : 10569
هاتف: 00212537779954
فاكس: 00212537778827
info@mominoun.com
www.mominoun.com